جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

سارة أرونسون

فون برج

حايا نبرج

فريد الفالوجي

أطلس

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن..فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

سارة، عميلة صهيونية، أدمنت الخيانة واحترفت الجاسوسية، صنعت كل ما يمكنها فى لبنان لمصلحة اليهود، وقدمت لإسرائيل أفضل ما يمكن من خدمات، وهى تنحدر من عائلة قذرة.. أم تخون زوجها، وأب يعشق التجسس، أوقعت شاباً لبنانياً فى حبها، واستغلت ذلك للتجول ومعرفة كل أسرار سوريا ولبنان وساعدت بريطانيا فى الخلاص من الجيش التركى فى الشرق بعد أن أغوت القائد التركى وسرقت منه جميع الأسرار. وعندما انكشف أمرها، أمسكت بمسدس وأطلقت الرصاص على نفسها لتموت غير مأسوف عليها.

فون برج: بارونة ألمانية أحبت ضابطاً بولندياً، كان يعمل جاسوساً لبلاده فى ألمانيا، فتركت زوجها لتعيش مع معشوقها وتقدم له كل ما يريد من معلومات. إلى أن ظهرت خيانتها وحكم عليها بالإعدام فى برلين، حيث فصل رأسها عن جسدها بسيف الجلاد.

حايا نبرج، فتاة يهودية أحبت شاباً فلسطينياً، وباعت أسرار بلدها اليهودى إلى حبيبها قبل قيام الدولة الصهيونية، ولكن الاستخبارات الإسرائيلية استطاعت أن تلتقط هذه العلاقة، وتم إعدامها رمياً بالرصاص.

الناشر

ISBN 977-399-042-7





مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

سارة أرونسون

فون برج

حايا نبرج

فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
٢٠٠٥ / ١٨١١٩

الترقيم الدولى
٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٤٢ - ٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطـن وبذلـك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى قصتنا هذه .. سنندهش أمام حالة ثلاث فتيات، ألمانية، ويهودية روسية الأصل، ويهودية إنجليزية، عرفن الحب وخضن المغامرة الخطرة فى عالم الجاسوسية حتى النهاية.. فقد انتحرت الأولى يأساً، وأعدمت الثانية رمياً بالرصاص.. أما الثالثة فقد أعدمت بالفأس..!!

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

سـارة أرونسون



جاسوسة صهيونية كانت تجيد اللغات واقتحام الأخطار .. كونت شبكة جاسوسية فى بيروت ودمشق. وبرغم حبها لشاب يهودى، استغلت جسدها لتوسيع شبكتها، حتى أنها تعرفت بقائد الجيش التركى الذى اتخذها عشيقة له، فسرقت أسراره. واستخدمت الحمام الزاجل فى التراسل. وعندما ألقى الأتراك القبض عليها اغتصبتها فصيلة كاملة من الجنود، وانتحرت بالرصاص لتحقق حلمها الأخير ألا تموت بيد عدوها.!!

عائلة الجواسيس (*)

لبنان بلد العجائب بحق . ففيه لا يعدم الجواسيس بنص القانون.

إلا أن هناك حالات استثنائية جدا نفذ حكم الإعدام فى بعضهم كان آخرها «أحمد الحلاق» الذى شنق فى ٢١ سبتمبر ١٩٩٦ بسجن «رومية» فى بيروت.

كان اسمه فى ذيل قائمة الخونة التى ضمت المئات من اللبنانين والأجانب منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم.

أما على رأس قائمة الجواسيس فكانت (سارة أرونسون) أشرس عميلة صهيونية فى لبنان. حباها الله ذكاء وجمالاً ودهاء قلما تمتعت به جاسوسة سابقة. فأجادت فنون الجاسوسية لدرجة الاحتراف، وتعاطتها بإدمان عجيب ما كان له من علاج سوى الموت.

نعم، الموت الذى رسم خطوط أبشع نهاية مأسوية اختارتها لنفسها.. وأكدت بذلك مقولة:

(*) نشرت بجريدة «اللواء العربى» العدد الصادر فى ٣ فبراير ١٩٩٩ ضمن سلسلة حلقاتنا : «المخابرات والجاسوسية فى القرن العشرين» ـ الحلقة رقم (٦٣).

- (إن الخائن يطارده مصيره .. حتى إذا ما أفاق من غفوته، عض النواجز ندماً.. ومات رعباً.. إما بقانون العدل شنقاً، أو برصاصة فى قلبه).

اعتمدت الحركة الصهيونية العالمية فى بعثاتها، على رجال الاستخبارات واليهود تحديداً، لاستكشاف المنطقة العربية فى سبيل سعيها لتحقيق حلم الدولة اليهودية . واستعانت فى أحيان كثيرة بالأثرياء ذوى النزعة الصهيونية الذين تدفقوا إلى فلسطين وكان على رأس هؤلاء «جاك أرونسون»[1] JACK ARONSON اليهودى الإنجليزى المتعصب، وكيل أعمال البارون إدموند روتشيلد BARON EDMUND DE ROTHSCHILD الصهيونى الفرنسى الشهير والمتمتع بثقته.

تقول المصادر:

- «جاء أرونسون إلى « زمازين » فى فلسطين حاملاً أموال البارون روتشيلد الوفيرة، وكان ينظر إليه كأحد مؤسسى «الوطن القومى اليهودى » فأقام عدة مشاريع استثمارية هامة، وجمع حوله رهطاً من اليهود الأكثر تعصباً وعداوة للعرب..

---

(١) جاء اسمه فى بعض المصادر : «أهرونسون».

وكان أبناؤه الثلاثة : هارون ، وأليكس، وسارة، أهم جواسيس الصهيونية فى فلسطين وسوريا ولبنان ..

فمن خلالهم وبواسطتهم، استفادت الحركة الصهيونية أعظم استفادة .. وأمكن لها ترسيخ أقدامها فى فلسطين، تمهيدا للمرحلة التالية فى سباقها المحموم لإقامة دولة إسرائيل.»!

كان هارون Harroun أرونسون من كبار علماء النباتات ليس فى فلسطين وحدها فحسب، بل العالم أيضاً . فله عدة مؤلفات ترجمت إلى اللغات الأجنبية وكانت تدرس فى المعاهد الزراعية فى كثير من أنحاء العالم.

لقد جاب هارون جميع أنحاء البلاد العربية واكتشفت «القمح البرى» فى أعالى «جبل الشيخ» وسجل اسمه بهذا الاكتشاف فى Encyclopedia Britanica، وسجل اسمه أيضاً بأنه مكتشف اللوز البرى فى أعالى جبل قايسون فى سوريا، واستغل اختصاصه لخدمة الجاسوسية الصهيونية، حيث أنشأ معملاً زراعياً كبيرا فى منطقة عتليت ، اتخذ منه قاعدة لإدارة شعبة الاستخبارات فى فلسطين بمساعدة أليكس وسارة، وبرغم اهتماماته العلمية والزراعية إلا أنه كان من أكبر الجواسيس وأشدهم مكرا ودهاء..

حاملة الراية

تمكن هارون على مدار سنوات طويلة أن يؤدى خدمات كبرى للصهيونية وبريطانيا معا، وحقق نجاحات واسعة ساعدت بريطانيا كثيرا فى الحرب العالمية الاولى وكان لها تأثيرها الكبير على مجرياتها.

وكصهيونى متعصب.. سعى إلى مؤتمر «فرساى[1]» بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى للدعاية للمشكلة اليهودية وحقوق اليهود فى

---

(١) فرساى: مدينة صغيرة تبعد عن باريس ١٥ ميلا، غير أن القصر الذى أقيم بها فى القرن السابع عشر اكسبها شهرة واسعة. فالقصر الكبير ينقسم إلى عدة أقسام، ترى فى أولها «قاعة المرايا» التى وقعت بها معاهدة فرساى. ويضم القصر أيضا جناح مدام بومبادور Madame de Pompadour والأجنحة الملكية وصالونات الاستقبال. وبالقصر دار أوبرا ومتحف تاريخ فرنسا وممر «جراند تريانون» وهو ممشى ساحر أنشئ من المرمر الأبيض والأحمر عام ١٦٨٧ بناء لرغبة الملك لويس الرابع عشر، يوجد أيضا «التريانون الصغير» Petit Trianon الذى شيد عام ١٧٦٨ وكان بمثابة مسكن خاص للملك لويس الخامس وعشيقته مدام «دوبارى» Madamc du Barry . وهناك أيضا متحف العربات بين التريانون الصغير والكبير ، ويحوى العربات الملكية التى استخدمت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ومن بينها العربة التى استقلها «نابليون الأول» و«مارى لويز» عند زواجهما. أما الحديقة فآية من آيات الجمال بما تضمه من أشجار وخضرة وزهور وطيور ونافورات مذهلة وبحيرات، ومئات التماثيل الرخامية البديعة. بيد أن اعظم حدث شهده قصر فرساوى فى الربع الأول من القرن العشرين هو توقيع المعاهدة الشهيرة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، والتى اعترفت فيها ألمانيا بالهزيمة وقبولها دفع تعويضات باهظة كعقوبة لها.

أرض الميعاد، فلسطين، بدعوى أنها أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض. فقرر السفر للدفاع عن القضية الصهيونية إلا أن الطائرة التى أقلته سقطت به فى مياه البحر الأبيض المتوسط، وسكت صوته إلى الأبد، ليحل محله أليكس الذى كان يعمل مدرساً وخطيباً وداعية صهيونى.

وفى الوقت الذى كان يتظاهر فيه بأنه معلم يطوف على القرى الفلسطينية، لإلقاء المحاضرات الأسبوعية على الشبيبة اليهودية، كان يمارس عمله التجسسى لخدمة الاستخبارات البريطانية والصهيونية، إلى أن قتلة عشيق زوجته بأن ألقى به من فوق سطح منزله، وهربت الزوجة الشمطاء إلى تركيا مخلفة وراءها ستة أبناء ثلاثة منهم عميان واثنين أخرسين وواحدا أشل.

هكذا وجدت الشقيقة الصغرى، سارة أرونسون، نفسها وحيدة فى فلسطين، وكان عليها أن تجاهد لكى تكمل مشوار الجاسوسية حتى نهايته .. ونهايتها.

وصية روتشيلد

فى عام ١٩١٤ عندما نشبت الحرب العالمية الأولى، كانت سارة فى الثانية والعشرين من عمرها.. بارعة الفتنة طاغية الأنوثة والجمال، مائسة كعود برى، ناضجة مشتهاة، شفتاها كفلقتى كريز حبلى بالرواء، إذا تبسمت فتنت، وإذا ضحكت أسكرت، وعيناها بريقهما ماله من دواء.

كانت تجيد اللغات العبرية والعربية والفرنسية والإنجليزية والايطالية، ولوعة بالثقافات وبالعلوم الزراعية والنباتية، عملت كمساعدة لشقيقها هارون فى مختبر عتليت[1]، وتوسعت فى دراسة تاريخ الحضارات والشعوب وتولهت حباً فى الآثار.

وعندما أظهرت استعدادها لخدمة الصهيونية، تعهد بها ثلاثة من كبار اليهود خبراء الجاسوسية والمخابرات: «كوهين خانكن»، و«إبراهام إسرائيل» ، و«صمويل سام»، ودربوها على أعمال الجاسوسية والمخابرات وتخزينها فى الذاكرة، فتفوقت على نفسها

---

(١) عتليت Atlit : أقدم مرافئ فلسطين، وتقع على ساحل البحر المتوسط على مسافة ٢٠ كم جنوبى حيفا، وبها مواقع أثرية وحصن صليبى يعود إلى سنة ١٢١٨ م ويوجد فيها الآن مرفأ يستخدم لصيد الأسماك، حيث يعمل سكانها بالصيد وبصناعة السفن ومراكب الصيد. [موسوعة المدن العربية، آمنة أبو حجر، دار أسامة، عمان٢٠٠٢].

للدرجة التى أذهلت أساتذتها.

وفى القدس تصادف أن التقت بالمليونير اليهودى روتشيلد فرحب بها وأثنى عليها.. وأوصاها بالعمل لصالح اليهود والصهيونية حتى تقوم دولة إسرائيل.

فأومأت له موافقة ووعدته بأن تهب حياتها للصهيونية...

لقد سطر القدر قراره فى تلك اللحظة ...

فبعد ثلاث سنوات، وفى بيروت، أوقعت بشاب لبنانى اسمه «غسان» طيرت أنوثتها المتفجرة عقله وكبلت مقاومته، ثم ارتبطت به ارتباطاً وثيقاً بعد ذلك.

وبواسطته، تجولت فى بادية سوريا خطوة خطوة ، ودرستها من مختلف النواحى النباتية والسياسية والعسكرية، وتعرضا معاً لمخاطر كثيرة على مدار ستة أشهر أثناء تنقلهما فى البادية لرسم طبوغرافية المنطقة.

كان غسان شاباً ثرياً يجيد عدة لغات وله علاقات واسعة ومن هواة الآثار أيضاً.

أسلمته سارة جسدها ومنحته قطوف اللذة الغامرة ليكون لها عوناً وحماية، ورفيق طريق تأمن له.

وتردد أنها تعلقت به كثيرا نظرا لوجودهما معاً في الصحارى الموحشة لفترة طويلة، لأنه كان يجيد فك شفرة أنوثتها ويوقظ فيها الرغبة في أى وقت.

لم تبخل أيضاً بثمار أنوثتها على أثرياء البادية وأعاظم رجالاتها، فمقابل كل ثمرة كانت تجنى الكثير من الأسرار والاخبار، تنقلها بواسطة الحمام الزاجل[1] إلى قاعدتها الجاسوسية في عتلت . حيث يصنفها أساتذتها هناك ويخضعونها للتحليل الدقيق والفحص.

(١) تعد سارة أرونسون أشهر جاسوسة استخدمت الحمام الزاجل فى نقل الرسائل والأخبار.. وتعد أيضا أول صهيونية استخدمت هذا الأسلوب فى التراسل لخدمة الجاسوسية..!!

امرأة تهزم جيشاً

بينما الحرب العالمية الأولى على أشدها، تمكن الأتراك بجدارة من هزيمة القوات البريطانية فى معركة «كوت العمارة» أوائل عام ١٩١٦، مما أضعف من قوتهم فى المنطقة.

وبعد عشرة شهور دحر البريطانيون الأتراك وطاردوا جيشهم المتقهقر، واعتقدوا بذلك أنهم وضعوا حدا لأمل ألمانيا فى التوسع نحو الشرق Grany nach Osten ، وقضوا على الروح المعنوية للأتراك حلفاء ألمانيا.

وكان لسارة أرونسون دورا كبيرا فى هذه الحرب مع البريطانيين ضد الأتراك .. ولكى نتعرف على طبيعة الدور الذى لعبته هذه الجاسوسة الصهيونية، علينا أولاً أن نوضح صورة الجيوش المتحاربة ومواقعها وخططها .

ففى تلك الفترة كان البريطانيون يسعون جاهدين فى سبيل حماية قناة السويس، وإقامة خط سكة حديد عبر شبه جزيرة سيناء لتسهيل الهجوم على فلسطين حين تتمركز قوات الأتراك العسكرية فى غزة .

وأخيرا تم مد الخط الحديد، ولكن فشل الإنجليز فى الاستيلاء على موقع الأتراك الحصين فى غزة. وأوعزت المخابرات البريطانية إلى سارة أرونسون للقاء القائد التركى جمال باشا ومحاولة جره لعمل علاقة حميمة بينهما، لما أشيع عنه من حبه للنساء والخمر.

فتقدمت إليه سارة مع وفد يهودى للترحيب به. وتكلمت معه مؤكدة إخلاصهم للعثمانيين.

وبسبب ظروف الحرب وابتعاده عن عشيقاته فى تركيا، لم يصمد جمال باشا أمامها للحظات، إذ سرعان ما وقع فى غرامها واتخذها عشيقة أثيرة لديه حتى أنها كانت تبيت معه داخل خيمته الخاصة أحياناً كثيرة، مما مكنها من الاطلاع على الرسوم وخرائط الخطط العسكرية.

وكانت فرصتها الذهبية لجلب الأسرار والاستعدادات العسكرية للجيش التركى الذى ينوى الاتجاه إلى مصر والاستيلاء على قناة السويس.

ليس هذا فحسب، بل تمكنت سارة من مغافلة جمال باشا ونقلت خرائط المشاريع الحربية الاستراتيجية على فخذيها،

وتسللت من المعسكر التركى بما تحمله متخفية فى زى امرأة بدوية. وبفضل المعلومات العسكرية التى حصلت عليها، استطاع الإنجليز التقدم نحو فلسطين والاستيلاء على بئر سبع فى هجوم مفاجئ أربك الأتراك وشتت تفكيرهم.

وبعد ذلك بخمسة أيام سقطت غزة ثم يافا وبيت المقدس، وسيطر البريطانيون على جزء كبير من فلسطين، فى الوقت الذى تقدمت فيه قواتهم فى العراق حتى أصبحت على بعد مائة كيلومتر من الموصل.

عندئذ أخذ الأتراك يستنجدون بحلفاءهم، فأرسل لهم الألمان قوة عسكرية ألمانية تحت قيادة فولكنهاين Walkenhain ، بيد أن إمبراطوريتهم كانت فى طريقها إلى الانهيار.

سارة فى بيروت

بعد فوات الأوان، اكتشف جمال باشا قائد عام القوات التركية حقيقة العشيقة الجاسوسة، فرصد مكافأة سخية لمن يقبض عليها من رجاله ويجئ بها إليه حية، وقيل أن حنقه كان شديدا لدرجة مخيفة جعلته يبعث فى أثرها خيرة ضباط المخابرات دون فائدة..

وأمام الضربات الموجعة التى لحقت بقواته من جراء تحليل خططه ونظم جيوشه، نسى فى غمرة مشاكله وهزائمه غدر سارة إلى حين، وانسحب إلى شمال فلسطين ينظم صفوف جيشه المنهار، ليكر من جديد على الجيش الإنجليزى الذى تصدى له بعنف وأجبره على الانسحاب.

رغم ذلك .. استطاعت سارة وبجرأة تحسد عليها، التسلل عبر تحصيناته إلى بيروت دون أن يكشفها أحد . مهمتها هذه المرة أيضا انحصرت فى رصد القوات العسكرية التركية ومخازن تموينها وتسليحها.

لذا .. بحثت عن شاب لبنانى ذكى، تمنحه نفسها فيعاونها فى مهمتها، وفى الاختفاء عن أعين رجال جمال باشا التى تجوب

المنطقة بحثا عنها.

إن امرأة غضة فى سنها وجمالها لمن السهل عليها بأن توقع بأشد الرجال صلابة . لذلك سريعا ما وقع «يوسف عيسى عمران» فى حبائلها بلا حول ولا قوة ، مستسلما لنزواته كبيروتى ثرى يملك الجاه ويفتقد النزوة.

لقد أحاط عمران سارة بحبه ورعايته، وأضفى على حياتها الامن الذى غاب عنها، فمنحته هى ينابيع أنوثتها يجرع منها كيف يشاء ويترهل شبعا.

فلما أيقنت بأنه أدمنها لدرجة الثمالة بدلت جلدتها وتحولت إلى حية رقطاء مستغلة صداقاته بعلية القوم أسوأ استغلال.. ومن خلال هؤلاء جمعت معلومات عسكرية خطيرة تعرى أسرار الجيش التركى، سارعت بإرسالها إلى عتليت بواسطة الحمام الزاجل الذى كان يمثل جهاز البث اللاسلكى بين الجاسوس وقاعدته فى ذلك الوقت.

فلما وثقت العميلة الصهيونية بعشيقها، سعت إلى تجنيده بحرفية عالية اجادتها وأبدعت فيها تمكنا. وفى اول عملية تجسسية قام بها يوسف عمران فى منطقة بعلبك قبض عليه

رجال جمال باشا.

فى الحال هربت سارة أرونسون قبل وصول رجال المخابرات التركية بدقائق، حيث تنكرت فى هيئة راعى أغنام، دون أن تشعر بالأسى أو الأسف على عشيقها سيئ الحظ الذى أخضع للتعذيب والاستجوابات المرهقة، ثم حوكم أمام محكمة عسكرية ادانته وحكمت عليه بالإعدام فى «عالية» رميا بالرصاص.

و فى ٣ فبراير ١٩١٦ اقتيد لتنفيذ الحكم وهو غير مصدق بان حبيبته «جين سكودر» جاسوسة محترفة اسمها سارة أرونسون[1]، كانت تعمل لصالح الإنجليز والصهيونية وليس لصالح الألمان كما أقنعته.

(١) جاء فى بعض المصادر اسم «أرونسون» هكذا: «أهرونسون» مع العلم أنه يكتب بالحروف اللاتينية: «Aronsno».!!

عصابة الثلاثة

هكذا واصلت سارة أرنسون مهمتها الخطيرة فى التجسس، قنوعة بأن مهمتها الخطيرة فى التجسس، مهمة مقدسة لا تحتمل الجدل.

كانت واثقة بنفسها لدرجة اليقين، تغمرها تيارات المتعة كلما ضمت لشبكاتها أعضاء جددا يهيمون بها عشقاً ويذوبون أمامها رقة وحباً، وكانت تمنح كلا منهم بعضا من فوران أنوثتها بالقدر الذى تضمن به ألا يفلت أبدا.

وبرغم صغر سنها، شكلت شبكة تجسس واسعة الأطراف تضم عشرات من الرجال يدورون فى فلكها، ويجلبون الأسرار العسكرية والسياسية بأى ثمن. وكان جسدها كافياً لقيادة هذا الجيش من الجواسيس دون مقابل آخر.

وبدون أن يقدموا لنا تفسيرا علمياً، احتار خبراء المخابرات على مر الأحقاب التالية أمام عبقرية سارة أرونسون صغيرة السن واسعة الخبرة والمدارك، والتى تفوقت على نظيراتها السابقات من شهيرات عالم الجاسوسية أمثال « ماتا هارى» التى أعدمت فى

فرنسا عام ١٩١٧ عن ٤٧ عاماً.

كانت ماتا هارى[١] بحق ملكة الجنس فى عالم الجاسوسية لسنوات طويلة . ثم جاءت من بعدها ابنتها «باندا ماكلويد» التى ورثت سحر أمها وفتنتها وذكائها. فاستغلت مواهبها على أوسع نطاق وتعدم عن ٤٧ عاماً أيضاً فوق ثلوج كوريا كجاسوسة محترفة قامت بما يشبه المستحيل فى عالم الجاسوسية.

إلى جانب نسوة أخريات عديدات، أبدعن فى الجاسوسية بواسطة الجنس وهن فوق الأربعين عاماً.

لذلك كانت سارة أرونسون بمثابة الكنز، الكنز الثمين لدى المخابرات البريطانية والصهيونية، نظرا لمواهبها التى لا حدود لها، وثقافتها التى ما توافرت لمثيلاتها على مر تاريخ الجاسوسية كله حتى اليوم.

فلقد أدت مهاما صعبة وأنجزت المستحيل نفسه، للدرجة التى يستعين بها أعتى الجواسيس على الإطلاق - لورنس العرب[٢] -

---

(١) ماتا هارى: جاءت تفاصيل قصتها فى كتابنا «رصاصة الرحمة.. اللحظات الأخيرة فى حياة الخونة والمشاهير» عن دار أطلس، وتضم هذه السلسلة بعضا من سيرة حياتها وحياة ابنتها التى أعدمت بالرصاص ايضا.

(٢) لورنس العرب: أشهر شخصيات الربع الأول من القرن العشرين وأكثرها ريبة. فقد لعب دورا هاما فى الحرب العالمية الأولى كضابط استخبارات بريطانى فى المنطقة العربية. وكجاسوس داهية شجع العرب فى حربهم ضد الأتراك. وفى ١٩ مايو ١٩٣٥ =

لحمل رسائل هامة وسرية للغاية لرؤساء القبائل والأمراء والملوك العرب، خوفاً من وقوعها فى يد الماكر الداهية ـ جمال باشا ـ قائد القوات التركية الذى أوقع بعشرات الجواسيس فى قبضته واعدمهم بلا هوادة.

وكانت اخطر الرسائل التى حملتها سارة، رسالة من الشريف حسين إلى والده «الملك» فيصل فى دمشق، ينبئه فيها بقرب إعلان الثورة العربية.

لقد كانت الرسالة الخطيرة كفيلة بقتل فيصل أو إعدامه إذا ما وقعت فى يد جمال باشا.

وكانت مغامرة السفر بالرسالة من القدس إلى دمشق رحلة محفوفة بالمخاطر، خاضتها سارة أرونسون فى شجاعة نادرة بمعاونة أمهر رجالها المتعبدين فى محراب أنوثتها، منهم «ليك ليتشانسكى» زعيم اليهود البولونيين وعالم الكيمياء المعروف، و«نهمان بلكند» اليهودى الإنجليزى المتزمت ، و«جوزيف طوبين» اليهودى الروسى البارع الذكاء.

هؤلاء الأعوان المفتونون بسارة الفاتنة، كان يطلق عليهم

= مات ميتة غريبة فى حادث طريق، وخلف وراءه علامات استفهام كثيرة لا إجابات لبعضها حتى اليوم، وخلف أيضا كتابه الشهير :«أعمدة الحكمة السبعة».

«عصابة الثلاثة» لأنهم ـ وهذا أمر جديد فى عالم الجاسوسية ـ كانوا يمارسون نشاطهم التجسسى معاً رغم اختلاف جنسياتهم وبيئاتهم، بل وثقافتهم فقط جمعتهم أحلام إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، ومذاقات اللذة اللانهائية بين أحضان سارة أرونسون.

ساحة المرجة

هؤلاء الثلاثة اللذين توحدوا فى الحلم والحب، غامروا وقدموا أرواحهم رخيصة للمحبوبة الفاتنة، وبعدما تلازموا أحياء ماتوا غرباء كل فى ناحية، تاركين الحبيبة تفر بحياتها من قبضة جمال باشا الذى لم ينفك يطاردها أينما حلت.

ففى دمشق ألقى القبض على ليتشانسكى متخفياً فى شخصية تاجر عربى. ويتبين أنه جاسوس خطير أتعب الأتراك لفترة ليست بالقصيرة من جراء تجسسه، وحصوله على المعلومات العسكرية الهامة التى انزلت بهم خسائر كبيرة .

واعترف البولونى الخبيث بأنه استطاع الإفلات مرات عديدة من قبضة الأتراك، بسبب اتقانه اللهجات البدوية بطلاقة

ولتنكره الدائم. وأنه بذلك استطاع أن ينقل تحركات الجيش التركى وتسليحه وتعزيزاته إلى الإنجليز.

وأمام إصراره على عدم معرفته بمكان سارة أرونسون، فشل جمال باشا فى تعقب خطواتها، إلا أنه حصل من خلاله على معلومات أدت إلى القبض على زميليه، بلكند وطوبين، فى بيروت بعد ذلك.

حكم على ليتشانسكى بالإعدام شنقًا فى ساحة المرجة بدمشق، أشهر ميدان عام فى العالم شهد إعدام الجواسيس والخونة على مر الاحقاب السابقة، وكان إيلى كوهين[1] أشهر هؤلاء الجواسيس الذين أعدموا علانية به.

وقبل إعدامه بساعات قليلة، أوصى ليتشانسكى فى رسالة تركها لزوجته وصديقه، بأن يتزوجا حماية لأولاده الخمسة من الهلاك. كما أوصى ابنه الأكبر أن يسير على دربه فى خدمة الصهيونية..

---

(١) إيلى كوهين: ولد بالإسكندرية سنة ١٩٢٤ وهو من أصل حلبى، وهاجر لإسرائيل فى ١٩٥٦ بعد حصوله على بكالوريوس الهندسة جامعة القاهرة. وفى إسرائيل انضم إلى الموساد وأرسل للتجسس على دمشق كمهاجر سورى عائد من الأرجنتين . وبعد ثلاث سنوات أمكن القبض عليه بشقته على أدوات التجسس، وبعد محاكمة استغرقت ثلاثة شهور حكم عليه بالإعدام شنقاً، وفى ١٨ مايو ١٩٥٦ اقتيد إلى ساحة المرجة حيث تم شنقه أمام حشود الجماهير وعلى الهواء مباشرة أمام كاميرات تليفزيون دمشق.!

وبينما جثمانه ينقل لقبر مجهول خارج دمشق ، كانت سارة أرونسون تجتاز الدروب الوعرة فى طريقها إلى قاعدتها الجاسوسية فى عتليت، مارة بين جنود ورجال جمال باشا دون أن يلحظها أحد.

حدث هذا فى ذات الوقت ألقى فيه القبض على بقية عصابة الثلاثة فى بيروت، وهما «نهمان بلكند» و«جوزيف طوبين»، حيث كانا هناك فى مهمة خاصة لرسم خريطة المواقع الدفاعية التركية على الساحل اللبنانى شمالى بيروت. إلى جانب مهمتهما الأصلية التى أجاداها.

وكانت هذه المهمة تتصل بتشجيع الجنود الأتراك على الفرار من الجندية، وإخفائهم مع أسلحتهم فى أماكن جبلية ومغارات سرية، تمهيدا لإرسالهم للمستعمرات اليهودية بواسطة عملاء سارة الآخرين.

الوصية الأخيرة

وتقول المصادر بأنه تم رصدهما بواسطة رجال المخابرات التركية، وألقوا القبض عليهما فى إحدى المغارات الجبلية بينما كانا نائمين فى الفجر، ومعهما شاب لبنانى اسمه «روبين» كان يعمل معهما كدليل، يقودهما إلى المغارات المهجورة وسط الجبال الساحلية ليراقبا من هناك تحركات قوات الأتراك على الساحل.

لم يستطع روبين تحمل ضرب الجنود له بالكرابيج فألقى بنفسه من فوق الجبل ومات على الفور، واقتيد الجاسوسان إلى مكتب مكافحة الجاسوسية فى «عالية» حيث تعرضا لتعذيب وحشى، ثم استجوبا لعدة أيام.

لكن.. فشل الأتراك فى انتزاع معلومات منهما تقودهم إلى القبض على سارة «الزعيمة» التى أوقعت بقائدهم، وسرقت أسرارهم العسكرية التى أدت لهزيمتهم أمام الإنجليز فى غزة.

كل ما قالاه عنها :

ـ إنها تظهر فجأة وتنفرد بهما كل على حدة لتمنحهما جرعة العشق والفوران، ثم تختفى فجأة أيضاً دون أن يعرفا لها طريقا أو

عنواناً. إنها كالشبح الذى لا يمكن لأحد أن يتكهن بظهوره ولو لمرة واحدة .

وبعد يأس من إمكانية اعترافهما بمكانها، اجتمع الديوان العرفى فى عالية وأصدر ضدهما حكماً بالإعدام.

كتب «بلكند» وصيته الأخيرة فى رسالة تركها لزوجته وجاء فيها:

- «آسف يا عزيزتى لأنى لم أترك لك شيئاً، ولكن لدى ١٥٠٠ ليرة إنجليزية هى كل ثروتى، أوقفها لأول رجل يبشر عائلتى بتحقيق حلم الوطن القومى لليهود فى فلسطين» .

أما جوزيف طوبي،ن فقد سرد خطوط حياته بإيجاز شديد قائلاً:

- «أنا روسى الأصل ، هاجرت من مسقط رأسى وتركت كل حياة رفاه وسعادة ومستقبل حسن يترقبنى هناك، فى سبيل تحقيق فكرة الوطن القومى لليهود فى أرض الميعاد.

وفى سبيل هذه الغاية اشتغلت مع الإنجليز الذين وعدونا بتحقيق هذا الوطن، ولست نادما أبدا على ما بدر منى فى هذا الصدد. وعلى الحركة الصهيونية أن تتكفل بأبنائى وتقرر مستقبلهم ومصيرهم كما تشاء» .

المطاردة الشرسة

لم تحزن سارة أرونسون كثيرا لفقدها ثلاثة (!!) من أهم أعضاء شبكتها، ذلك أنه لا وقت للحزن لديها، فالمهام الملقاة على عاتقها جسيمة وخطيرة، وكان إحساسها بالمسئولية وبقدسية مهامها أكبر كثيرا من أن تحزن لفقدهم.

إنها امرأة بلا قلب ما خلقت إلا للعمل. فشغلها العمل عما سواه. وتابعت بمهارة فائقة إدارة شبكتها الخطيرة، وتمكنت من الوصول إلى معلومات خطيرة عن إمدادات الأسلحة والذخيرة الألمانية لجيوش الأتراك فى سوريا ولبنان.

والأخطر من ذلك، استطاعت أن تستقطب سبعة ضباط أتراك على فراشها، أفرغوا معلومات ثمينة عن مخازن السلاح والذخيرة والتموين، مكنت الإنجليز بعد ذلك من تدميرها فألحقت بالأتراك خسائر فادحة وألقت فى قلوبهم الرعب.

ليس ذلك فحسب، بل أمدت الضباط الأتراك بمعلومات مغلوطة عن تحركات الإنجليز فى جزيرة العرب، نقلوها بدورهم لجهاز المخابرات الذى حقق معهم عن مصدرها، وكانت النتيجة

إعدام الضباط السبعة رمياً بالرصاص فى أحد المعسكرات بالقرب من «حمص» .

وانزعج جمال باشا القائد التركى لخيانة رجاله، وتغلغل عميلة الإنجليز والصهيونية داخل جيشه. وبات يحلم باليوم الذى تسقط فيه فى قبضته لينتقم منها شر انتقام. هذه المرأة الصغيرة الماكرة حيرت جهاز مكافحة الجاسوسية التركى كله، وأوقعت به فى مأزق لن ينساه أبدا .

قال عنها رئيسها «كوهين خانكن» فى مذكراته:

- «سارة أرونسون فتاة رائعة، ناعمة رقيقة كالأرنب، ماكرة كالثعلب، قوية كحصان أشهب، جموحة لا تكل ولا تتعب، بريئة كزهرة ، رشيقة كمهرة، مثيرة نضرة، أسيلة عطره».

ووصفها مدربها الأول إبراهام إسرائيل قائلاً:

- «إنها فلتة من فلتات الزمان ومعجزة بحق، قدمت لإنجلترا ما عجزت عنه جيوشاً مجهزة من أمهر الجواسيس».

أما «لورانس العرب».. فقد اتخذ منها خليلة له لفترة.

كان الأمر بالنسبة لها مجرد «شرف نبيل ما بعده شرف» فى أن تمنح أستاذ الجاسوسية الأشهر جسدها إرضاء له، واتخذت من

علاقتها به هدفا للاستفادة من خبراته ونظرته الحاذقة لمستقبل المنطقة العربية.

وبعدها، سلمها لورانس رسالة الملك حسين[1] «شريف مكة» إلى ولده فيصل فى دمشق.

وطلب منها أن تعود بالجواب فى أسرع وقت .

وبعد نجاحها فى مهمتها بالغة السرية والخطر، قامت بحمل رسائل أخرى من لورنس إلى شخصيات عربية كبيرة مجتازة خطوط الأتراك بجرأة مزهلة.

النهـاية

وجاءت اللحظة الحاسمة فى تاريخها عندما شك فى أمرها أحد الضباط الأتراك، فأمر جنوده باقتيادها إلى معسكره بالقرب من بيروت لاستجوابها، حيث جردوها من ملابسها تماماً، وابتسم الضابط ابتسامة المظفر وهو يتأمل الرسومات الدقيقة على

---

(١) الشريف حسين: صاحب المراسلات المشهورة التى تمت بينه وبين «السير هنرى مكماهون» المندوب السامى البريطانى فى القاهرة التى نصت على أنه الحاكم الشرعى للعرب، وعلى حق الشعوب فى تقرير مصيرها، وهو المبدأ الذى أعلنه الرئيس الأمريكى «ويلسون».

فخذيها، والتى تمثل خريطة لمواقع دفاعات الجيش التركى خارج دمشق .

وبعضب شديد، أمر الضابط التركى فصيلة كاملة من جنوده باغتصاب الجاسوسة لعدة مرات على مدى أسبوع كامل، حتى لو أدى الأمر إلى موتها. وكان على جهل تام بأنه أمام الجاسوسة الأولى التى أرقت منام قائده الأعلى. وتسببت فى هزيمة الأتراك فى عدة مواقع حيوية.

ولما وصل الخبر لجمال باشا[1] انتقل بنفسه إلى معسكر الأسر، وما أن رآها حتى أطلق رصاصة واحدة على قدم الضابط التركى الذى احتجزها لأسبوع دون أن يخبره. واقتيدت إلى ركب القائد فى حالة إعياء شديد فاضطر أحد الجنود لحملها.

وفى لحظة كالبرق.. خطفت مسدسه ولم تترك فرصة للأيدى التى هجمت عليها لإنقاذها. إذ دوى الصوت الرهيب .. فانهار الجسد بلا حراك وارتخت الجفون التى جحظت من تحتها العيون للحظة.

---

(١) جمال باشا هو القائد العام للقوات التركية، وهو ليس جمال باشا الذى اشتهر بمعاملة العرب بوحشية وقسوة [هانى الخير: أشهر الاغتيالات السياسية فى العالم، دار الكتاب العربى، سوريا١٩٨٨].

وبانتحارها.. خطت العميلة الصهيونية بنفسها نهايتها فى اليوم الأول من مارس ١٩١٨ ، ذلك أنها أقسمت ذات يوم أن النهاية ستكون بيدها هى لا بيد عدوها .

هكذا كانت النهاية البشعة لجاسوسة محترفة سعت لخدمة الصهيونية، وخلدتها ذاكرة المخابرات الإنجليزية ، التى خلقت منها أسطورة لا تتكرر على مر الأزمان ، ولم تكد تمضى عدة أشهر بعد مصرع سارة أرونسون، حتى انسحبت القوات التركية مخلفة وراءها أطلال الماضى التأيد.

وظل قبر سارة مجهولاً لم يصل إليه الإنجليز إلا بعد ثلاث سنوات من دفنها، حيث عثر عليه مدربها وأستاذها صموئيل سام فوق ربوة عالية تشرف على بيروت من جهة الجنوب. تظلله ثلاث من شجيرات الأرز.

فتعجب سام للرقم «٣» الذى امتلأت به قصة تلميذته سارة أرونسون. تلك المرأة المثيرة للدهشة التى أحبت لبنانياً لدرجة الجنون.. لكن مهامها التجسسية سرقت منها الحب والعاطفة والمشاعر.. فالعمل كان جل اهتمامها.. وأهم من نبضات القلب ورعشات الوطر..!!

فنون برج



البارونة التى أحبت رجل الاستخبارات الذى جاء من بولندا ليتجسس ضد ألمانيا .. لكنها عندما تكتشف حقيقته تقف إلى جواره ضد وطنها ، وتساعده فى عمله حتى اكتشف أمرها وأعدمت بالفأس .. وكانت حتى أنفاسها الأخيرة تعلن أنها لا تكره هذا الرجل... الذى منحها الحب والحنان !

مهمة سرية فى برلين

إن المغامرات العاطفية والقصص الرومانسية فى حياة الجاسوس تمثل أحيانًا منعطفًا مثيرًا فى حياته ، قد يقوده إلى طريق مجهول ملئ بالمخاطر ، وربما الموت.

وفى تاريخ الجاسوسية الطويل الممتد، تحكى لنا الملفات أغرب هذه القصص ، فى تشريح نفسى دقيق، يظهر أعماق هؤلاء الذين اختاروا المغامرة المميتة بالعمل فى مجال الجاسوسية ، بما يكتنف هذا العمل من إثارة وغموض ومخاطرة قد تضيع الحياة بسببها فى لحظة.

ومع ذلك ففى تاريخ الجاسوسية هناك القاتل المحترف الذى يهذبه الحب ويرعشه ، والخائن الرعديد الذى سحقته مشاعره تجاه محبوبته.

وهناك أيضا ضابط المخابرات نفسه الذى يهزمه الحب ويكسر حدة توحشه[1] .

---

(١) أنظر كتابنا: «رصاصة الرحمة.. اللحظات الأخيرة فى حياة الخونة والمشاهير»، عن دار أطلس للنشر بالقاهرة.

وعندما اعتلى أدولف هتلر منصب المستشارية فى ألمانيا عام ١٩٣٣ ، أدرك البولنديون أن النازيين سيدعونهم يوما ما، للزحف إلى جانب ألمانيا ضد روسيا ، أو يضطرون إلى مقاومة هجوم ألمانى عليهم إن رفضوا الانصياع لرغبات النازيين .

وعموما، فقد كانوا قد انتهوا من اتخاذ قرارهم بعدم التعاون مع ألمانيا[١] .

فى تلك الفترة الحرجة التى سبقت اشتعال الحرب العالمية الثانية، كان الكابتن (سيرج سوسنوفسكى) ضابطا بولنديا من أسرة عريقة ، يتمتع بشخصية أخاذة ووسامة مدهشة تجتذب النساء.

وبحكم حبه للمغامرة ، وطلاقته فى التكلم بالألمانية، بعثت به الاستخبارات البولندية إلى برلين ، بعد أن تم تدريبه جيدا على دقائق مهمته ، مستترا وراء شخصية رجل أعمال ثرى ، بغرض كشف خطة الهجوم الألمانية المحتملة على بولندا .

---

(١) برنارد نيومان : أسرار الجاسوسية . العدد ٤٩ من سلسلة كتابى.

البارونة العاشقة

اعتمد سوسنوفسكى على الأموال الوفيرة التى بحوذته فى تجنيد أعداد كبيرة من الألمان ، وسيطر عليهم سيطرة كاملة حتى أنه بعث بهم فى كل أرجاء ألمانيا ، حيث طالبهم بالإصغاء إلى حديث الناس فى الأسواق والمتاجر والمقاهى .

وكان هو بدوره أيضاً يصغى إلى ثرثرة الدوائر العليا التى يتردد عليها ، بصفته رجل أعمال ثرى. ومن خلال ما كان يسمعه، وما يصله من أعوانه ، بنى صورة تحليلية للموقف أقرب ما تكون إلى الحقيقة .

وأثناء مباشرة سوسنوفسكى لمهمته، تصادف أن تقابل مع البارونة (فون برج) داخل أحد محلات العطور ، فانبهر فى الحال برقتها وطفولة وجهها ، إلى جانب أنوثة فتاكة ناضجة الاشتهاء تتحلى بها.

واندهشت هى أيضا لوسامته الملفتة ، وطريقته الساحرة فى الحديث.

وبعد لقاءات عديدة بينهما ، كانت هى التى عجلت بمصارحته

بأنها ـ برغم زواجها ـ تحبه إلى درجة الهوس، فاعترف هو الآخر بحبه لها، ذلك الحب الغامر الفياض الذى اجتاح حياته منذ أن رآها .

وما هى إلا أيام حتى انتقلت فون برج إلى شقته، وأقامت معه إقامة كاملة.! ولما سعى زوجها إليها لإعادتها حفاظًا على مركزه الاجتماعى، صرخت فى وجهه معلنة رفضها.

فانسحب الرجل يلملم بقايا كرامته ، بينما كان حبها يتضاعف كل يوم للحبيب المدهش، وعكفت جاهدة على مساعدته فى أعماله التجارية التى تخفى وراءها ، دون أن يراودها أدنى شك فى شخصيته الحقيقية .

هكذا مرت سنوات فى ألمانيا ، وسوسنوفسكى يعيش آمنا مع حبيبته البارونة (فون برج) ، لم يفكر خلالها أن يستغلها بشكل أو بآخر لجمع المعلومات، أو حتى مصارحتها بحقيقة عمله من باب الثقة .

فالتدريب الجيد الذى ناله فى بولندا قبل سفره إلى ألمانيا ، ساعده كثيرا على التحكم بقدرته على اختزان أسراره ، ولو لأقرب الناس إلى قلبه.

كان أيضًا لا يثق فى قدرة حبيبته على التحمل وهى تراه يتجسس على بلدها، ويجمع المعلومات الاستراتيجية عن جيشها وتسليحها، ومصانعها الحربية، وأحدث ابتكاراتها.

فلابد عندئذ أن تدفعها الغيرة على وطنها إلى عمل شئ ما ، وهو احتمال لم يكن سوسنوفسكى يستطيع تخمين إمكان حدوثه من عدمه .

ولذا.. فقد فضل ضابط الاستخبارات البولندى الصمت والحيطة والحذر، بعد أن عاش فترة طويلة فى ألمانيا دون أن يزل لسانه أو يخطئ أدنى خطأ .

الحب.. أم الوطن؟

وذات ليلة عاد منتشيًا من حفل كبير بقصر إحدى العائلات الراقية ، بعد أن سمع أنباء هامة عن الطائرة القتالية الحديثة من طراز (مسر شميدت) التى كانت مجهولة القدرة والمواصفات والتسليح والمدى.

ونظرًا لأنه نال تدريبًا ممتازًا على تدوين المعلومات فى الذاكرة أولاً ، عمد إلى تسجيل كل ما سمعه عن الطائرة بمجرد وصوله إلى البيت ، وارتكب الخطأ القاتل عندما دس الورقة فى جيبه ونام.

وفى الصباح عندما أرادت عشيقته ترتيب ملابسه وغسل بعضها... عثرت على الورقة وقرأتها فى ارتجاف وذهول ، فقد اكتشفت أن حبيبها الذى ضحت من أجله رجل استخبارات، وجاسوس إيرلندى مخادع يعمل ضد وطنها.

تركت فون برج الورقة مكانها والألم يعتصرها لكن نفسها حدثتها بأن تتروى لتوازن الأمور، وفكرت بالإبلاغ عنه لكن سرعان ما ماتت الفكرة، لأن عاطفتها تجاهه غلبت وطنيتها

وقهرتها قهرا ، وكل ما انتهت إليه هو انها يجب ان تتحدث إليه فى هذا الأمر.

وعندما واجهت سوسنوفسكى بما رأت وعرفت، ارتجف رعبًا، ولما رأت علامات الذعر فى عينه ارتمت باكية بين يديه تعتذر... وتتأسف حظها .

وسألته بصوت خفيض خائف :

- لماذا يا حبيبى ؟

جاءها صوته مرتعشًا :

- لا تصدقينى إن قلت لك أنى كنت أنوى مكاشفتك .. فلو أننى فعلت ذلك لقتلت .. وكان يحز فى نفسى أن أقتل وأتركك تتعذبين.

قالت والعذاب يعتصرها :

- وهل طاوعت قلبك وتصورت أننى يمكن أن أكون يومًا ما سببًا فى إيلامك .. أو قتلك ؟

ضمها إلى صدره فى حنان وهو يقول فيما يشبه الهمس :

- أنا آسف يا حبيبتى .. آسف بحجم الحب الذى بقلبى لك .. لقد خدعتك دون قصد يا أوفى الناس .. لكن لتعلمى أن السرية

هى إحدى أهم جوانب العمل السرى، وكنت أتوقع دائما ، أننى إن ضعفت إرادتى وصارحتك ، أن أقتل هنا فى ألمانيا ، أو على يد قادتى فى بولندا.

قالت فى أسى :

ـ وماذا يريد الإيرلنديون من ألمانيا ؟

أجابها على الفور :

إننى ما جئت إلى هنا، صدقينى وثقى بى، لكى أتجسس على ألمانيا .. إنما لأستشف نوايا الرايخ الثالث[1] التى ستدمر ألمانيا وأوربا يومًا ما.

وأضاف:

ـ إن هدف هتلر هو الاستيلاء على أوربا من أجل إذلال شعوبها.. انتقاما لهزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الاولى.. ومعنى ذلك أن حربا جديدة ستشتعل فى القارة .. لهذا جئت إلى هنا لكى أتلقط الأخبار والتحركات العسكرية..!!

---

(١) كلمة «رايخ» تعنى: امبراطورية. فالرايخ الأول The First Reich كان الإمبراطورية الرومانية المقدسة (٨٠٠-١٨٠٦م) The Holy Roman Empire . والرايخ الثانى The Second Reich كان إمبراطورية «أوتو فون بسمارك» (١٨٧١-١٩١٨) Otto Von Bismarck Empire ... أما الرايخ الثالث The Third Reich فقال عنه هتلر بعد ذلك إنه الإمبراطورية الألمانية الأعظم والتى ستدوم شامخة إلى الأبد.

قالت :

- وإلى متى تستمر هذه الحالة ؟

أجاب :

- إلى أن أتم مهمتى هنا .. فأحصل على خطة هتلر العسكرية لمهاجمة بولندا.

إن هذا الرجل «هتلر» مصاب بالبارانويا[1] ومن الصعب التفاهم معه أو توقع تصرفاته..! إن عودتى إلى بولندا رهن بذلك الأمر .. ويجب أن أفعل شيئا .

---

(١) البارانويا (الهذاء) Paranoia مرض عقلى يتمثل فى هذيانات توهم عقلية Delusions قوامها الاضطهاد Persecution من نوع بعينه يؤيده المريض ويدافع عنه بإصرار. وتشغل هذه التوهمات عادة جزء صغيرا أو كبيرا من عقله، محاولة أن تتسع دائرتها لتشمل العقل كله. ويرتبط بهذه التوهمات ويصبح فى انسجام مع موضوعها هلوسات سمعية وصوتية. فالمصابون بالبارانويا من العباقرة والمجانين بداء العظمة يتخيلون وجود كائن إلهى يقوم داخل نفوسهم يهيئهم لرسالة ويستخدمهم لغرض معين. والبارانويا اضطراب عقلى ذهانى ـ كما يقول الطب العقلى ـ لا تصل إليه الأفكار المتسلطة إلا عندما تصبح حالة جنون. ومريض البارانويا يتميز بنفسية قوية لكن بنقص فى الحب. وإذا وجد الحب فهو نرجسى. وبسبب رغبته فى إخضاع الآخرين يشعر أن الآخرين يضطهدونه ويتآمرون عليه للتخلص منه. ويقول علماء النفس إن البارانويا مرض الغزاة والفاتحين عبر التاريخ الذين يحاولون لاشعوريا وعن طريق العدوان أن يتخلصوا من الصراع داخل أنفسهم ومن توتراتهم التى لا يطيقونها. كما أنها مرض الزعماء والقادة الذين يتميزون بالديكتاتورية وجنون العظمة وفرض الذات.. يساعدهم عليها تأليه شعوبهم لهم وعبادتهم لبطولتهم. وأظهر التحليل النفسى ان الطغاة مثل نيرون وهتلر وموسوليني مصابون بهذا المرض.

علمنى كيف أتجسس

سألته بصوت مختنق :

ـ وأنا ؟ هل ستتركننى هنا وحدى بعدما تحصل على تفصيلات مهمتك ياسوسنوفسكى ؟

ضمها إليه بقوة وقبل أن يجيب قالت وهى تنتفض بين ذراعيه تأثرا :

ـ سأصدقك... مهما كانت إجابتك .. فقل الحقيقة واضحة دفعة واحدة.. بمرها أو بحلوها.

انطلق يقول :

ـ حبيبتى .. أقسم لك بأننى لا أكذب عليك .. ستكونين معى فى بولندا لنكمل مشوار حياتنا سويًا .. لن أغادر برلين إلا وأنت معى أو أن أعود جثة هامدة فى صندوق .

بكت بحرمة وهى تعانقه وتقول :

ـ أصدقك يا حبيبى .. قلبى يحدثنى بأنك صادق فيما تقول.. لكننى جد خائفة .. فلو أن رجال الجستابو(١) تشككوا فى أمرك

---

(١) جهاز الأمن الألمانى الرهيب ـ الذى كان مجرد نطق اسمه تصاب الأبدان بالارتجاف.. والهلع.!=

لقتلوك فى الحال . لذلك يجب أن أساعدك فى مهمتك حتى نسافر معاً إلى بولندا فى أسرع وقت .

بهت سوسنوفسكى وردد :

ـ تساعديننى ؟

ـ نعم .. اختصارًا للوقت يا حبيبى .. وكل ما أطلبه منك الآن، هو أن تعلمنى كيف أعمل بحذر .. كيف أتكلم وأتحاور وأصل إلى ما أريد معرفته بمهارة ..

وأضافت وهى تضمه:

ـ أريد أن أتعلم كل فنون الجاسوسية لكى تمر الأيام سريعًا ونبتعد عن هنا .

ذهل الضابط البولندى وقال وهو لا يصدق أذنيه:

ـ إذا كنت، أنت، بمثل هذه الصفات، والوفاء، فلن أكون أقل منك بأى حال.. وأقسم لك يا أوفى الناس بأننى منذ رأيتك وأحببتك، لم ولن أفكر ما حييت فى خداعك.. أو التخلى عنك ولو ضحيت بعمرى فى سبيلك..!!

---

* والجستابو Gestapo هو البوليس السرى النازى الذى حصد أعداء هتلر بالجملة داخل ألمانيا، والكلمة اختصار ألمانى لـ : Geheime Staats Polizei «بوليس أمن الدولة».

ألعوبة فى يديه

وبهذا بدأت فصول أعجب قضايا التجسس فى التاريخ .. قضية تتابعت فيها لحظات من الدراما .. والدسائس .. والمأساة .. فقد وضعت البارونة (فون برج) الخطط لإنقاذ حبيبها من الخطر المحدق به . وأدركت أنه كلما أسرع فى إنجاز مهمته استطاع أن يعجل بالعودة إلى بولندا ، حيث بر الأمان .

ومنذ تلك اللحظة، صارت تصطحبه إلى الحفلات التى تضم أناساً يستطيع أن يستفيد من حديثه معهم ، فيضيف إلى الصورة التى كونها معالم جديدة كل يوم !

وجاء يوم من أيام سنة ١٩٣٤ .. كانت البارونة «فون[1] برج» تحتفى فيه بابنة عم لها، بارونة، هى الآنسة (فون ناتسنر) ، التى كانت تعمل كاتبة سرية فى وزارة الحربية الألمانية.

وكان من تقاليد ألمانيا ألا تعين فى هذا المنصب إلا من تثق بها من بنات الضباط المتقاعدين ذوى العراقة الأسرية. وكان والد

---

(١) فون: لقب ألمانى يعود إلى عهود بعيدة،ويدل على أن حامله ينتمى إلى أسرة ألمانية عريقة كانت تقتطع وتمتلك مساحات شاسعة من الدولة الجرمانية.

هذه الفتاة ضابطًا «نبيلاً» برتبة كولونيل ، ولكن التضخم المالى الذى حدث فى ألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى كان قد أصابه بخراب شامل ، فاضطرت ابنته إلى العمل.

ولكنها ما كادت تلاحظ جمال ثوب ابنة عمها البارونة «فون برج» ، حتى لسعتها عقارب الغيرة ، والرغبة الأثيرة فى الثراء .. وبعينى ضابط مخابرات ماهر، لمح (سوسنوفسكى) فى عينيها بريق هاتين العاطفتين .

شيئاً فشيئاً استطاع سوسنوفسكى أن يعالج الخطوات التالية بمهارة ، بمعاونة البارونة ، فاقترح على الفتاة أن يمدها بالمال الذى تريد ، على أن تمده بين الحين والآخر بمعلومات عن العقود التى يعقدها الجيش مع التجار مثلاً ، بدعوى أن هذه المعلومات تفيده كثيرًا فى عمله التجارى! .

ولم يكن فى الخطوات الأولى ما يريب.

وصار الضابط البولندى يدفع للفتاة أجورًا عالية... حتى أصبحت تحت رحمته والعوبة فى يده يحركها كيفما شاء، بحيث بات فى استطاعته أن يحصل منها على ما يريد ، وهى التى لم تألف من قبل سعة العيش.

فأدار رأسها أن يكون فى يدها مال كثير لم تكن تحلم به يوما.. واستأجرت مسكنا فخما خاصا بها ، واشترت الثياب المودرن التى طالما اشتهت اقتناءها !

ورقة الكربون

كانت الآنسة فون ناتسنر تعمل فى الإدارة المالية الخاصة بالتموين والمخازن ، وتكتب على الآلة قوائم عن التموين . وكان فى استطاعة أى ضابط أركان حرب يعمل فى المخابرات ان يحصل من هذه القوائم على الخطوط الرئيسية فى أى خطة حربية أو مشروع هام.

وبرغم أنه لم يكن فى الإمكان سرقة نسخة من هذه القوائم ، لأنهم كانوا يرقمون كل ورقة بعناية ، فإن الشريكين، البارونة وعشيقها، اكتشفا وسيلة أخرى تدل على مهارة فائقة ، هى سرقة ورقة كربون استخدمت مرة واحدة، من ضمن الأوراق التى توضع بين نسخ ما يكتب على الآلة ، وبذلك يمكن لأى إنسان ذكى أن يقرأ فيها ما كتب !

استمر (سوسنوفسكى) زعيم شبكة التجسس فى دفع مبالغ كبيرة للفتاة ، التى كانت قد بدأت تحصل له على مادة من الطراز

الأول، حتى لقد أكد لحبيبته أن مهمته ستنتهى فى خلال أشهر قلائل[1] .

سقوط بالصدفة

ومرت بالشركاء الثلاثة لحظة كانت تدعو إلى القلق والذعر فى الوقت نفسه!

كانت أم الفتاة تعيش فى (بافاريا) ، فزارتها فجأة على غير انتظار . وإذ ذاك ذهلت لكثرة ثيابها وأناقة أثاثها .. فزعمت لها الفتاة أن (جنرالا) من أصدقاء والدها (ذكرت اسمه) كلفها بعمل يأتيها بأجر كبير.

ولكن هذا الحادث العرضى كان كفيلا بهدم كل ما بناه سوسنوفسكى !

فقد قابلت الأم بعد ذلك بعدة أشهر هذا الجنرال، فشكرته لأنه أسدى هذا الصنيع إلى ابنتها.

وعندئذ أدرك الرجل العسكرى أن وراء الأمر شيئا، لكنه لزم الصمت ، فقد كان رجلا صارما فى عمله . ولم يكن إلى ذلك الوقت

---

(١) انظر كتابنا « رصاصة الرحمة » ، عن دار أطلس للنشر .

مرتابا فى نشاط الفتاة ، بل ظن أنها لابد قد أصبحت خليلة رجل ثرى !

على أن الاضطراب انتاب عقل ذلك الجنرال منذ تلك الساعة ، فبعث بأحد ياورانه لمراقبة الفتاة والتحرى عنها .. فلم يعثر لها الياوران على أى عشيق ثرى كما توقع..!!

وإزاء هذا أبلغ الجنرال الجهات المختصة بشكوكه، فتولت إدارة مقاومة الجاسوسية الأمر .. ولم تلبث الفتاة أن ضبطت حال خروجها من مكتبها والكربون فى جيبها !

وأملاً منها فى أن تنقذ حياتها من الإعدام ، افشت سر الكابتن سوسنوفسكى والبارونة فون برج.

وكان الأمر خطيرًا جدا.. لدرجة أن (هينريتش هيملر) ـ أحد كبار زعماء النازية ورئيس الجستابو حينذاك ـ اعتقلهما بنفسه!

يومها.. تردد أن كبار ضابط الجستابو أصيبوا بصدمة ارتجاجية، وهم يستمعون إلى اعترافات الفتاة الألمانية، وأن

هيملر[1] رئيس الجستابو جلس بمكتبه لوقت طويل فى حالة اضطراب وغضب.

وقرب منتصف الليل أمر بتجهيز فريق المداهمة، وما هى إلا دقائق حتى حوصر المنزل الذى يقيم فيه سوسنوفسكى من شتى الجهات، وتم اقتحام شقته فى لحظة كالبرق حيث كان يسجل

---

(١) هينرتش هيملر Heinrich Himmler : كان من نمور النازى برغم ان هيئته تدل على الألفة والطيبة كأنه مدرس مسكين «كما يقول مؤرخ النازية الشهير د.لويس سنيدر» رأى فيه هتلر رفيقا مخلصا وداهية صامتا، فقربه منه، وقام هيملر بتنظيم وقيادة قوات« S.S »، الحرس الخاص لهتلر المرتدى قمصانا سوداء Schutz Staffle ، وهى قوات منتقاة من أفضل العناصر القتالية، التى أعطاها هيملر تدريبا خاصا عسكريا ومعنوياً للرد الفورى فى وحشية بالغة وللقتل السريع دون تردد وأوكلت لهذه القوات بالإضافة إلى حماية الفوهرر، مهام مثل مكافحة التجسس، ومراقبتة كبار قادة الحزب النازى، وقتل غير المرغوب فيهم من الألمان والأجانب. أحرز هيملر نجاحاً عملياً فى قيادته لقوات الـ « S.S » ، مما دعى هتلر إلى ترقيته عام ١٩٣٤ لمنصب رئيس جهاز الجستابو، بعد أن قام بدراسة شاملة لأنظمة مباحث أمن الدولة فى روسيا مثل جهازى «أوكرانا»، و«التشيكا» فى روسيا القيصرية وروسيا البلشفية.

اشتهر هيملر بأنه قاتل بالجملة « Mass Muderer » ، وجلاد ألمانيا النازية الأول بعد قتله لأعداد لا حصر لها من الرجال والنساء. وفى نهاية الحرب العالمية الثانية حاول هيملر الفرار والاختباء بمكان آمن، لكن قوات الحلفاء تمكنت من أسره، فانتحر بالسم الذى كان يحتفظ به تحسباص لأية ظروف، مفضلاً أن يموت بيده لا بيد الأعداء.! [أدولف هتلر.. الرجل الذى أراد عملياً احتلال العالم. بقلم د. لويس سيندر، ترجمة طارق السيد خاطر، عن مكتبة ابن سينا، القاهرة ، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م] .

بعض الملحوظات فى دفتر صغير الحجم، بينما كانت عشيقته فى المطبخ تصنع صينية من الحلوى.

استسلم الضابط البولندى لمصيره خاصة وكانت أدلة إدانته بين يديه، بينما أخذت البارونة فون برج ترتجف بشدة وقد فقدت النطق لدقائق، ثم انهارت فى بكاء حاد.

الإعدام بالفأس

حكم على البارونة وابنة عمها بالإعدام ! .. وتحرك قلب زوج البارونة ـ البارون ـ فى اللحظة الأخيرة ، فأراد تطليق زوجته لتتزوج من (سوسنوفسكى) وتصبح رعية بولندية ، فتنجو بذلك من الإعدام ! ولكن خطته منيت بالفشل .

وقد وصف شاهد عيان مأساة الإعدام – الذى نفذ فى فناء أحد سجون برلين ، وكان شبيهًا بما كان يحدث فى العصور الوسطى – فقال :

ـ (كان الجلاد يلبس ثوب السهرة؟! وكان الجزء الأسفل من وجهه مغطى بقناع أسود . وخانت الآنسة (فون ناتسنر) أعصابها فى اللحظات الأخيرة ، فحملها ثلاثة رجال، وجعلت تقاوم وتصرخ

وهم يدفعونها إلى كتلة الخشب أمام الجلاد. ثم أمسكوا بجسمها بقوة إلى أن أهوى الجلاد على رأسها بفأسه.

ولكن الضربة الأولى لم تنجح، فاضطر إلى معاودة الكرة بقوة أكبر، حتى فصل الرأس عن الجسد.

أما البارونة (فون برج) فأنها تقدمت إلى مصيرها المحتوم فى هدوء . وكانت تحسب أن حبيبها الضابط البولندى على وشك أن يلقى نفس مصيرها ، فكانت تحدث نفسها فى زنزانتها عن لقائهما السعيد بعد الموت !

وقد تبدو لحظاتها الأخيرة أشبه بفصل من مسرحية ، ولكنها كانت مخلصة إلى حد أن بعض الجماهير من دون القلوب المتحجرة تأثروا لحالتها..

فقد ركعت أمام كتلة الخشب ، ووضعت صورة لسوسنوفسكى على الأرض ـ كى تنظر إليها إلى أن تموت ـ ثم اسندت رأسها بلطف على الخشب وأزاحت الشعر عن مؤخر عنقها) .

ويضيف الشاهد:

ـ (تردد الجلاد لحظة وقد رأيت العرق يتصبب من وجهه ـ وكان هذا بعد الفجر بقليل ، فى صباح يوم بارد من أيام شهر فبراير ١٩٣٩ .. وإذا ذاك أمره ضابط بأن يضرب .. فاستجمع ما

بقى له من شجاعة وأعصاب ، وهبطت الفأس .. فتدحرج الرأس الجميل على الأرض .. إلى جوار صورة الرجل الذى أحبته صاحبته !.

واضطروا عندئذ إلى اقتياد الجلاد بعيدا ، فقد رأيته يترنح عبر فناء السجن، وسمعت أنه استقال من منصبه بعد ذلك . ولست ألومه) !

مصير سوسنوفسكى

وظهرت فى برلين لافتات عن إعدام اثنتين من الخائنات للرايخ . ولكن ، ماذا حدث لسوسنوفسكى ؟

حكم عليه بالإعدام مثلهما ، ولكن يد القدر تدخلت فى الأمر . فإن البولنديين كانوا قد اعتقلوا جاسوسة ألمانية ذات شأن كانت تسمى نفسها (مدام اوتسوريل) . وقد نفوا ـ كما جرت العادة ـ أن (سوسنوفسكى) كان يتجسس لحسابهم، ونفى الألمان أيضا أن (مدام أوتسوريل) كانت جاسوسة من طرفهم .. ثم اتفقوا على تبادل السجينين !

وقد كانت لهذه القضية نتائج هامة . فقد عاد (سوسنوفسكى) إلى بولندا رجلا محطما .

ولكن السلطات البولندية برغم ذاك كانت ترتاب فى أمره ، وتخشى أن يكون قد تحول إلى جاسوس مزدوج ، بسبب النداءات الحارة التى كان يوجهها إلى السلطات الألمانية كى تعفو عن عشيقته (قبل إعدامها) .

لذلك خشى المسئولون أن يكون قد وعد بالعمل لصالح ألمانيا إذا أطلقوا سراحها !

وعلى أى حال ، فإن سوسنوفسكى بعدما حاصرته الشبهات والشكوك ألقى القبض عليه ، عند استرداده فى صفقة المبادلة، وبدلاً من مكافأته على المعلومات الثمينة التى أمدهم فى وطنه بها، تعرض لتعذيب وحشى عساه يبوح بالحقيقة.

لكنه أصر على كونه ضابط بولندى مخلص يحب وطنه ويحترم عسكريته .

وبالرغم من انتفاء دليل قطعى يؤخذ ضده ، قدم إلى محاكمة عسكرية عاجلة، حيث احتوى ملفه على مجرد تخمينات لا تدين، لكنه برغم ذلك فشل هو ومحاميه فى الدفع ببطلانها لانتفاء الجريمة والأدلة.

وانبرى القضاة فى مواجهته باتهامات تحليلية تافهة استندت على فرضيات وشكوك.

ثـم أصـدرت المحكمـة العسـكرية العليـا حكمًـا نـهائيًا لا يقبـل المعارضة ، بالإعدام رميًا بالرصاص لسوسنوفسكى بتهمـة الخيانـة العظمى ، وكان ذلـك قبيـل انـدلاع الحـرب العالميـة الأولى فـى سـنة ١٩٣٩ بأيام قلائل .

بيد أن الضباط الوطنى المخلص انتابته آلام نفسية موجعـة إلى حد آذى عقله.

ومع ذلك لم يتركوه فى زنزانتـه سوى ثلاثة أيـام، ثـم أيقظـوه مبكرًا وأخذوه إلى ساحة تنفيذ الإعدام .

ولما لم يكن فى كامل وعيه وهـو المذهـول الشارد الذهـن ، فقد ظل على حاله من الشرود وعدم إدراك ما يدور حوله ، حتى وهم يكبلـوا يديـه وسـاقيه ويربطـوه إلى عمـود التنفيـذ ، لتنطلـق رصاصات غدر تستقر بين ضلوعه ، ثم تخترق جمجمته رصاصـة الرحمة لتستقر هى الأخرى!

وفيما بعد أعلـن محاميـه ان سوسنوفسـكى اعـدم ظلمـاً بسـبب جهل القضاة الذين لم يتمكنوا من إيجاد مبرر واحد يجيز إعدامه.

وقال المحامى إن الضابط البرئ القتيل، سلمه رسالة كتبها قبيل إعدامه قال فيها:

ـ (إلى حبيبتى فون برج.. آسف جدا على ما نـالك على يـدى..

بسبب الحب الجارف الذى جمعنا.. حب لا يعرف إلا الصدق .. والوفاء..!

وأعدك يا حبيبتى وانا فى طريقى إلى لقياك.. أننى سأحاول أن أمحو آلام الموت التى شعرت بها قبلى.. سأحاول فى الآخرة أن أنسيك محنة الألم.. وسنعيش فى عالم آخر.. عالم لا يعرف إلا الصدق والإخلاص... والحب..)!

حــــايا نــبرج



لعلها المـرة الأولى التـى تجسست فيـها فتاة يهودية على قومها لأجـل الحـب، لا شئ غيره.

لكن المثير فـى هـذه القصـة، أن الفتـاة العاشقة لم تنته قصة حبها بـالزواج، بـل انتـهت نهايـة مأساوية، بـالإعدام رميـاً بالرصـاص، قبيـل إعـلان قيـام الدولة اليهودية بوقت قليل..!!

الحب الأول

لا يكاد أحد يذكر قصة تلك الفتاة اليهودية العاشقة التي أحبت شاباً فلسطينياً، وسلمته الكثير من الأسرار قبيل إعلان قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ .

تلك القصة التي اشتهرت داخل المجتمع الإسرائيلي، وكتبت عنها أخيرا الصحف وجاءت على استحياء في كتب الجاسوسية التي تجئ من إسرائيل!

فالثابت إذن أن «حايا نبرج» تناست يهوديتها وباعت كل شئ من أجل الحبيب .. وهو ما فعلته الفتاة الأردنية المسلمة أمينة داود المفتي[(١)] بعد ذلك، إلا أن العاشقة اليهودية حايا نبرج تلقت رصاصات الإعدام في صدرها، بينما هربت أمينة المفتي وذابت داخل إسرائيل بعيدا عن أجهزة الاستخبارات الأردنية.

وإذا كانت حادثة حايا نبرج تمثل أول حالة إعدام لجاسوسة يهودية عام ١٩٤٧، ففي العام التالي مباشرة أعدم أيضاً المهندس

---

(١) جاءت قصتها في كتاب مستقل من سلسلة (جاسوسات عاشقات) بعنوان: (آني داوود) وجاءت تفاصيلها في كتابنا: (أمينة المفتي.. أحبت يهوديا فباعت لأجله الوطن) عن مكتبة مدبولي بالقاهرة.

اليهودى «مائير توبيا نسكى[1]» بتهمة العمل لصالح العرب، ليكون بذلك آخر العملاء اليهود الذين تم إعدامهم منذ أول يوليو ١٩٤٨ حتى يومنا هذا..

لكن .. ترى ماذا فعلت حايا نبرج حتى استدعى الأمر إعدامها بالرصاص كما أعدمت « ماتا هارى[2] » وغيرها من قبل..؟

وهل كانت الفتاة اليهودية واقعة تحت إغراءات أو تهديدات دعتها للتعاون مع الشاب الفلسطينى..؟

لا أحد يمكنه الادعاء بأن هناك أية تهديدات كانت دافعاً لحايا نبرج لأن تخون شعبها. فالدافع الوحيد لها كان الحب الذى حطم فيها التعصب الأعمى لجنسها، فبدت رومانسية حالمة وهى تتذوق الحب لأول مرة.. لذلك خرت له صريعة الضعف قليلة الحيلة.

---

(١) إيريس فولات: عين داوود، ترجمة أسيمة جانو . مكتبة مدبولى. القاهرة ١٩٨٧.
(٢) جاءت قصتها فى أعداد هذه السلسلة تحت عنوان «مرجريت تسيليه»!

تجسس إجبارى

كانت حايا نبرج تعمل ممرضة فى مستشفى يافا جنوبى تل أبيب، وهى فتاة بهية الطلعة ذات ملاحة ورقة وبهاء، عمرها تجاوز العشرين بقليل، وتجيد التحدث باللغة العربية إلى جانب لغتها العبرية، حيث أنها ولدت فى تل أبيب لأسرة روسية الأصل هاجرت إلى فلسطين فى أعقاب الاضطرابات التى وقعت فى روسيا عام ١٩١٧.

وفى عام ١٩٤٥ كانت حايا نبرج فى الثامنة عشرة من عمرها، عندما التقت للمرة الأولى بالشاب الفلسطينى «داوود ياسمينى» فى يافا، الذى كان يعمل حينئذ بالتدريس، وتم هذا اللقاء العابر بعد انتقالها إلى المدينة للعمل كممرضة جديدة.

ومنذ التقت نظراتهما تبدل حالها، وتمكن منها داء الحب الذى لا يفرق بين الأجناس والأديان والألوان. لكن الشاب الملتزم كان لا يعيرها انتباهاً أو اهتماماً، وهذا ما كان يفتت قلبها ويصيبها بما يشبه الجنون.

هكذا أحبت الفتاة اليهودية شاباً فلسطينيا مسلماً من طرف واحد، وأرقها هذا الحب الجارف الذى سيطر على قلبها وعقلها، وأحالها إلى عاشقة هائمة ملتاعة، فشلت مطارداتها للشاب العربى الملتزم حتى أنها فكرت فى الذهاب إليه والركوع أمامه..

هكذا أذل الحب الفتاة اليهودية.. وحطم فيها الإرادة والعزيمة، وكانت على استعداد لعمل أى شئ جنونى للظفر به، برغم إدراكها أن زواجها منه كان سيسبب لها مشكلات عسيرة مع أسرتها، ومع قادة المنظمات الإرهابية اليهودية التى كانت تفرض سيادتها على المدن والكيبوتزات، وترفض مثل هذه العلاقات مع العرب.

إلا أن حادثا خطيرا وقع للفتاة العاشقة، وهو انضمامها إلى إحدى هذه المنظمات بواسطة الضغط العائلى والاجتماعى، والتهديد المتواصل، وكان علنياً أحياناً، بطردها من العمل بالمستشفى اليهودى، وهذا ما كانت تخشاه حايا نبرج بحق نظرا لحاجتها إلى الراتب الشهرى الذى كانت تتحصل عليه.

لذلك وافقت مضطرة على العمل مع المنظمة الإرهابية وإمدادها بمعلومات تتعلق بمن تحتك بهم من النساء العربيات فى نطاق عملها.

مما خلقت يا رجل؟

تطورت الأمور شيئاً فشيئاً فى حياة نبرج حيث أخضعت لتدريب أمنى، أفهمت أن القصد منه معرفة كيفية التعامل مع السكان العرب واستدراجهم إلى الحديث.

لم تكن الفتاة اليهودية الحسناء تعلم فى البداية الغرض الأساسى وجدوى التعامل مع العرب ومحاولات الخداع والإغواء والاستدراج. لكن التدريب الذى أخضعت له أوصلها إلى حقائق غريبة ومثيرة!!

فقد قيل لها من خلال هذه الدورات التى كانت تعقد للفتيات العاملات مساء، أن الفتاة اليهودية ملك خالص للهدف الرئيسى الذى يؤدى إلى قيام الدولة اليهودية، إسرائيل، حيث ان هذه الأرض التى جاءوا إليها من شتى البقاع هى أرض الأجداد، أرض الميعاد التى وعدوا بالعودة إليها بعد قرون طويلة من التشرد والشتات.

ولكى تقوم هذه الدولة يجب على كل يهودى أن يضحى. فالشاب يحمل السلاح ليحارب، والفتاة تحمل أسلحة أشد فتكاً، جسدها

وجمالها وأنوثتها، ويجب ان تستخدم أسلحتها هذه لتثبيت أركان الدولة وإقامة دعائمها القوية.

هكذا تدرج الأمر واتضحت معالمه، وكان على كل فتاة يهودية ان تغوى ما استطاعت من العرب للتوصل إلى أية أخبار مفيدة . وكان على كل فتاة أيضاً أن تستغل جمالها الأخاذ الساحر الذى يسلب العقول، للوصول إلى أسماء القيادات الفلسطينية التى تخطط سرا للعمليات ضد اليهود، وذلك بإعلان سخطها من العمليات التى تنفذها المنظمات الصهيونية ضد المدنيين العزل، مما يكسبها تعاطفاً يجعلها لدى العرب مصدر ثقة.

كانت الفتاة اليهودية العاشقة، حايا نبرج ، برغم كل ما تدربت عليه من أساليب لإطلاق الألسنة الفلسطينية عن عقالها، تشعر بالعجز الشديد أمام حبيبها داوود الياسمينى، فقد عجزت لدرجة اليأس فى اقتحام قلبه وامتلاك مشاعره، وهذا ما كان يصيبها بالحزن والأسى.

فحبها للياسمينى كان أكبر من إرادتها، حتى أنها تمنت ذات يوم أن تنتحر لتستريح من عذاباتها المؤرقة المسهدة. بيد أن إعصار الحب الجارف كان يدفعها دوماً لملاحقة حبيبها فى عمله، وقرب بيته،وفى دكان والده الذى كان يقف فيه لبعض الوقت فى المساء.

لكن.. لو أن جبل الكرمل تحرك من مكانه، لتحرك داوود الياسمينى أيضاً .. فالشاب غير المبالى كان يقابلها بوجوم شديد يقتل فيها نبضة الأمل فى الوصول إليه.

وذات يوم عاصف سألها فى تأفف:

ـ هل تجدين متعة فى مطاردتى هكذا فى كل مكان ..؟

قالت بعينين دامعتين:

ـ مما خلقت يا رجل ..؟

قال فى نفاذ صبر:

ـ لا ترهقى نفسك أكثر من اللازم .. فلن ينفعك ما تفعلينه فى شىء . إنما سيصيبك بالضيق والألم هذا الذى تقومين به من مناورات ومطاردات بلا طائل.

صرح يتهاوى

لحظتها، أجهشت بالبكاء وهى تردد بصوت مختنق:

ـ أنا أحبك يا داوود .. أرجوك .. إنك تذبحنى فى كل وقت .. وتذبحنى الآن بكلامك هذا..

فاستشعر الشاب مدى الإهانة التى وجهها إليها وقال معتذرا:

ـ أنا لا أقصد إيذاء مشاعرك يا فتاة .. لكن هذا الذى تفعلينه يسئ إلىّ ويضر بسمعتى بين أهلى وبين الناس .. فأنا والحمد لله معتدل السلوك وأنأى عن أية شبهة تمسنى و...

هتفت:

ـ داوود ...

قاطعها مكملا:

ـ وتمس عائلتى

صاحت:

ـ مالى أنا وعائلتك يا داوود..؟

أجاب:

ـ عائلتى معروفة فى يافا كما أظنك تعلمين .. وارتباطى بك حتى ولو بعلاقة صادقة بريئة أمر مرفوض .. إننى حتى لا أعرف اسمك ...

تبسمت فى استحياء وأسف وهى تقول:

ـ حايا نبرج..

قال داوود الياسمينى:

ـ أيتها الأخت المهذبة .. إن الظروف التى نمر بها الآن فى وطننا صعبة للغاية .. ولست على يقين مما ستحمله لنا الأيام القادمة .. لكننى أعرف جيدا أن أى ارتباط بين شاب فلسطينى مسلم وفتاة يهودية أمر شائك ومحكوم عليه بالفشل. فلنكن إذن أكثر واقعية فى مواجهة الحقيقة.. وثقى بأننى أحترم مشاعرك وأقدرها حق تقدير.

هذه الكلمات التى نطق بها داوود الياسمينى بصدق، لم تثن عزم الفتاة أو ضايقتها منه.

بل على العكس تماما من ذلك، فالفتاة اليهودية ازدادت حبا واحتراما وتقديرا لحبيبها المهذب الذى تعامل معها بإنسانية

عالية وراقية، فى حين أن العيون تلتهمها التهاماً فى كل مكان تذهب إليه. عيون الكبار والصغار .. يهود وعرب. أما داوود، فهو الملاك الإنسانى الذى غض بصره وبصيرته عن أنوثتها ووصفها بأنه الأخت المهذبة.

ومع مرور الأيام الأولى التى اختفت فيها حايا نبرج، تصور داوود أنها رحلت إلى مدينة أخرى لتنسى حبها الذى فشل .. ومشاعرها التى انسكبت هدرا .

لكن ألجمته المفاجأة عندما ظهرت الفتاة من جديد .. وتبين له أنها كانت مريضة ولازمت الفراش لأيام حيث لم تقو على مواجهة واقعها، ورؤية صرح حبها الذى شيدته ينهار أمام عينيها فى لحظة.

التجسس المشروط

ومع اشتداد العمليات الفدائية ضد المستوطنات اليهودية والعصابات الإرهابية الصهيونية، انخرط داوود الياسمينى فى العمل الفدائى السرى ضد هذه المنظمات المسلحة التى طاردت الأهالى العزل فى كل مكان وفتكت بهم.

ومثل الكثيرين من الشباب انضم داوود إلى إحدى المنظمات العربية المسلحة وعمل كضباط استخبارات، حيث تم تدريبه على إطلاق النار، ووسائل الحس الأمنى وجلب الأخبار والمعلومات وتجنيد من يراه مناسبا.

وذات يوم التقت حايا نبرج بحبيب القلب وأسرت إليه بأن عصابة الهاجانا قد تقتلها إن اكتشف قادتها علاقتها به وحبها له، وفى هذا اللقاء العاصف حاولت كثيرا أن توقظ مشاعره نحوها.. أو مجرد أن يمنحها وعدا بأن يحبها فى يوم من الأيام.. مجرد وعد لا أكثر .. بلا فائدة.

وبرغم ذلك،أقسمت بأنها على استعداد للسفر معه إلى أى مكان ليتزوجا بعيدا عن هذا الشحن المتواصل، لكنه أكد لها استحالة ذلك لأنه لن يهرب من أرضه ووطنه بسبب فتاة يهودية أحبته وتريد الزواج منه.

ويبدو أنه فكر فى استغلال الفتاة المتيمة الهائمة، لذلك بدأت ابتسامته تظهر مرتسمة على وجهه كلما التقاها .. فبث فيها الأمل من جديد، وانتعشت الفرحة بأعماقها.

عند ذلك.. هيأت له منظمته الاستخباراتية مكانا أمنا

للالتقاء بها بعيدا عن الهاجانا أو المنظمات الإرهابية الأخرى.

وكان هذا يعنى منتهى أمل الفتاة اليهودية، التى أقنعها بأن هناك عرضا للسفر إلى أمريكا لإكمال دراسته العليا، لكن بقائه فى يافا[1] مرهون بما ستؤديه له من خدمات تتصل بخطط ونوايا العصابات الصهيونية المتطرفة فى يافا وتل أبيب.

عند ذلك أدركت بأنها اليهودية العاشقة تتعامل مع ضباط استخبارات فلسطينى وليس مع معلم اللغة العربية الذى أحبته وطاردته لشهور طويلة.

ولكى تحتفظ به كحبيب يحتوى مشاعرها ويمنحها الحب والحنان والدفء، قالت له فى صراحة منقطعة النظير، إنها على استعداد لأن تمده بكل المعلومات التى يريدها، شريطة ألا يمس

---

(١) يافا Jaffa : تقع على ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب من تل أبيب وهى تكاد تكون ملتصقة بها، وبها مرفأ تجارى هام. وتقول المصادر بأن سكان يافا هم أول من عمل بالزراعة بين شعوب الأرض. وأصل كلمة «يافا» الكلمة الكنعانية «يافى» ، أى: الجميل. وقد أطلق العرب الكنعانيون هذا الاسم على المدينة لجمالها الرائع. ومنذ أن بناها الكنعانيون العرب، تعرضت يافا للعديد من المحاولات لاحتلالها. فقد هاجمتها جيوش الآشوريين والبابليين والفرس، ثم احتلها اليونانيون ثم الرومان حتى فتحها عمرو بن العاص لتعود مدينة عربية إسلامية، وأقام فيها أحمد بن طولون قلعة حصينة. ووقعت يافا أسيرة بأيدى الصليبيين حيث كانت هى المنفذ الوحيد لملكة بيت المقدس الصليبية على البحر المتوسط. وحررها قطز فى عين جالوت. وفى العهد العثمانى تعرضت يافا للحملة الفرنسية سنة ١٧٩٩ وصمدت أمام نابليون فقام بدكها بالمدافع وجمع خمسة آلاف من أهلها وأعدمهم بالرصاص فى منطقة سميت بعد ذلك بـ «بقعة الشهداء» واحتلها الإنجليز عام ١٩١٨ بعد الحرب العالمية الأولى، ثم احتلها اليهود ولازالت يافا أسيرة مع بقية مدن وأرض فلسطين.!!

أحد أفراد أسرتها بسوء، وألا يتخلى عنها تحت أية ظروف، حتى ولو أنه تزوج بأخرى.

وما إن عاهدها داوود الياسمينى على أن يلبى لها مطلبيها، حتى تدفقت المعلومات السرية التى شملت أشياء كثيرة هامة تتصل بالمنظمات الإرهابية من حيث تنظيمها، وتسليحها، وأعداد قواتها، وخطط هجومها الفجائية، وكذا نقاط الضعف فى صفوفها.

هاما سرياه

لكن الاستخبارات اليهودية التى كانت تتجسس على خطوط التليفونات، تمكنت فى ٣٠ أغسطس ١٩٤٧ من التقاط مكالمة تليفونية بين حايا نبرج و داوود، تطلعه فيها على بعض أسرار التشكيلات اليهودية ونواياها الهجومية.

لم تكن أمام الاستخبارات الإسرائيلية ثمة معلومات تشير إلى شخصية الفتاة اليهودية المجهولة لديها، اسمها فقط هو الذى تلفظ به داوود بشكل عفوى ولمرة واحدة فقط.

وكان هناك سباق مع الزمن للتوصل إلى « حايا نبرج» اليهودية التى تعرف الكثير عن خطط مهاجمة العرب، والأهداف العربية

والبريطانية وبالأخص فى يافا.

ولأن الاسم شائع جدا بين الفتيات اليهوديات.. تم البحث عمن تعرف خطط اليهود لتخريب خزانات النفط التابعة لشركة «شل» فى حيفا، والتى تمت فى آخر أيام شهر مارس سنة ١٩٤٧، وأيضاً عمليات السطو المسلح على بنك باركليز فى حيفا التى وقعت فى الرابع من أغسطس ١٩٤٧ وأسفرت عن مصرع أحد الموظفين.

لقد شمل البحث والتحرى جميع الفتيات اليهوديات المنخرطات فى المنظمات الإرهابية، سواء ممن يحملن اسم «حايا نبرج» أو خلافه. فالمكالمة الهاتفية التى تم التقاطها كان يستشف منها رائحة حب وعشق لا علاقة بين ضابط مخابرات وعميلته. وانحصر البحث أكثر وأكثر فى فتاة تتكلم العربية أيضاً وبطلاقة».

وما هى إلا أيام حتى ألقى القبض على الفتاة داخل مستشفى يافا، وتم احتجازها بمكان سرى آمن لاستجوابها.

لكن.. كيف أمكن الوصول إلى اليهودية العاشقة المتيمة والقبض عليها ..؟ لقد ذكرت المصادر الإسرائيلية ـ كنوع من التفخيم وإخفاء الشهرة ـ أنها توصلت للجاسوسة العربية من خلال

الفتيات اليهوديات المتطوعات ومراقبتهن مراقبة شديدة.

لكن تبين بعد ذلك كذب هذه الادعاءات.. حيث ظهر أن صديقه لـ «حايا» هى التى أفشت سر علاقتها بالشاب الفلسطينى، عليها ضمن حالات أخرى لمجرد إجراء تحقيق فقط.. لعل وعسى..!!

أخضعت الفتاة لتحقيق مطول وتعرضت للتعذيب الشديد، ومع التجويع والوعد والوعيد اعترفت بحقيقة علاقتها بالشاب الفلسطينى، وبأن حبها له كان يفوق إرادتها. لذلك فقد تعاونت معه من اجل الاحتفاظ به كحبيب، مؤكدة على أنها لم تأخذ منه أية مبالغ مالية على الإطلاق مقابل المعلومات التى توفرت لديها ونقلتها له.

بالطبع لم تكن روايتها عن التجسس من أجل الحب رواية مقنعة.

لذلك تعرضت لتعذيب أشد وأعنف لعلها تفصح عن المزيد من أسرار تجسسها، لكنها كانت قد اعترفت بالحقيقة ولم تختزن أية معلومات أخرى بداخلها.

كانت حالة الفتاة اليهودية غريبة وشائكة .. فهى تمثل سقطة أمنية وعقائدية لم تكن متوقعة .. لذلك تمت محاكمتها بواسطة

عصابة الهاجاناه[1]، أمام محكمة يهودية خاصة قضت بإعدامها رميًا بالرصاص .

وفي منطقة شبه خالية شمالى تل أبيب تسمى« هدار ــ روماتيم » أخذت حايا نبرج مكبلة اليدين، وأعدمت بالرصاص دون أن يعصبوا عينيها وكانت تسب كبير الرماة الذى نزع عنها جزء من ملابسها وتردد:

ـ « هاما سرياه »

وتعنى بالعبرية :

« أيها النتن » ..!!

---

(١) فى عام ١٩٢٠ تكونت عصابة الهاجاناه التى كانت نواة جيش الدفاع الإسرائيلى بعد ذلك. ولعبت الهاجاناه (الدفاع) دورا رئيسيا فى عمليات قتل العرب وتشريدهم فى فلسطين، وكان من أشهر قادتها «ديفيد بن جوريون» الذى أعلن فيما بعد قيام دولة إسرائيل فى خطاب عاصف ألقاه فى قاعة مبنى بلدية تل أبيب، مساء ١٥ مايو ١٩٤٨، وتولى رئاسة الحكومة المؤقتة منذ ذلك التاريخ حتى ١٧ فبراير ١٩٤٩، ثم رئيسا للوزراء حتى سنة ١٩٦٣ باستثناء أعوام ١٩٥٣، و ١٩٥٤، و١٩٥٥، ومات سنة ١٩٧٣.

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com